Inspiration of deceptive rhetoric
The Arab Spring is a model

Dr. Buthaina Suleiman*

(Received 4 / 10 / 2022. Accepted 24 / 4 / 2023)

□ ABSTRACT □

This research identifies the origins of the problem of rhetorical deception since ancient times in Plato's "Georgias", called "Against Rhetoric" or "Against the Statement", which he included as a critique of the orators of ancient Athens, who used linguistic tricks to deceive the masses in a trance and stylistic way. The research will choose the "Arab Spring" model; That misleading media slogan that spread through the horizons of Arab and Western media a decade ago, to be the subject of an approach and analysis.

Keywords: Deceptive rhetoric, the Gorgias dialogue, the Arab Spring.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant Professor - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria. bosolima1977@gmail.com**

استلهامُ البلاغةِ المُخادِعةِ
الرّبيعُ العربيُّ أنموذجاً

د. بثينة سليمان*

(تاريخ الإيداع 4 / 10 / 2022. قبل للنشر في 24 / 4 / 2023)

□ ملخّص □

يرصدُ هذا البحثُ أصولَ إشكاليّةِ البلاغةِ المُخادِعة منذُ القديمِ في "**محاورة جورجياس**" لأفلاطون، المسمّاة "**ضدّ البلاغة** " **أو** "**ضدّ البيان**"، التي ضمّنَها نقداً لخطباءِ أثينا القديمةِ، الذين استخدمُوا الحِيَلَ اللغويّةَ والأسلوبيّةَ في خُطَبِهم بهدفِ التأثيرِ في عقولِ الجماهيرِ ترغيباً أو ترهيباً. وسيختارُ البحثُ أنموذجَ "**الربيعِ العربيّ**"؛ ذلك الشعار الإعلاميّ الذي طبّقَ آفاقَ الإعلامِ العربيِّ والغربيِّ منذُ عقدٍ منَ الزمنِ، ليكونَ موضوعَ مقاربةٍ وتحليلٍ.

الكلماتُ المفتاحيّةُ: البلاغةُ المُخادِعة، مُحاورةُ جورجياس، الرّبيعُ العربيّ.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ مساعد– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.bosolima1977@gmail.com

مقدّمة:

كانتِ البلاغةُ منذُ القديمِ فنَّ الكلامِ الذي يُستعملُ أداةً للتأثيرِ، ولاسيّما من قِبَل السفسطائيّين في خطاباتِهم وحواراتِهم. وقدِ اقترنَ الكلامُ البليغُ بالخطابةِ، تحديداً، بوصفِها فنًّا موجَّهاً إلى متلقٍّ جماهيريٍّ مُستهدَفٍ.

أمّا حديثاً، فقد تمَّ في كثيرٍ منَ المجالاتِ إحياءُ هذا الأصلِ البلاغيّ وإعادةُ قراءتِه وتحليلِه تحتَ مُسمّى "**البلاغة الجديدة**" خطاباً ونقداً، واستثمارُه لأغراضٍ نفعيّةٍ، أهمُّها الحرصُ على استقطابِ المتلقّي الجَمْعيّ عنْ طريقِ بثِّ خطابٍ يلقى لديه قبولاً وقناعةً.

مشكلةُ البحثِ:

تتحدّدُ **مشكلةُ** البحثِ في عددٍ من الأسئلةِ، من أهمِّها:

هلْ تستطيعُ البلاغةُ بوصفِها فنّاً كلاميّاً أنْ تؤثّرَ في المتلقّي الجَمْعيِّ تأثيراً موجَّهاً ؟

هلْ تستطيعُ البلاغةُ بوصفِها عِلماً أنْ ترصدَ بلغتِها الواصفةِ أثرَ فنِّ البلاغةِ في الإيهامِ الجمعيّ؟

هلْ يمكنُ تطبيقُ ما سبقَ . إجرائيّاً . على أنموذجٍ متحقّقٍ في الواقع؟

سيسعى البحثُ إلى الإجابةِ عن هذه الأسئلةِ في تضاعيفِ مناقشةِ موضوعِه.

أهمية البحث وأهدافه

أهمّيةُ البحثِ:

تأتي أهمّية البحثِ من نقلِ الاهتمامِ بالبلاغةِ من مجالِ الإبداعِ الأدبيِّ إلى مجالِ البلاغةِ التواصليّةِ الجماهيريّةِ النفعيّة؛ وهو مجالٌ أقلّ شهرةً في الدرسِ البلاغيّ السائدِ.

ومنَ المُهمِّ في البحثِ الاستعانةُ بإحياءِ مبادئ البلاغةِ اليونانيّةِ القديمةِ، واستعادةُ آليّاتِها، بوصفِها جهازاً لغويّاً مفاهيميّاً وأداةً ناجعةً قادرةً على إنتاجِ خطابٍ وتحليلِه ودرسِه في الوقتِ نفسِه، ولا سيّما أنّها تتيحُ توسيعَ مجالِ الخطابِ منَ الأدبيّ الفنّيّ إلى مجالاتِ العلومِ الإنسانيّةِ الأخرى، فيهتمّ البحثُ بالاشتغالِ على أحدِ أهمِّ النماذجِ المتحقّقةِ من نماذجِ هذه البلاغة.

أهدافُ البحثِ:

يهدفُ هذا البحثُ إلى بيانِ أثرِ القولِ البلاغيِّ في كسبِ ثقة المتلقّي أو تغييرِ موقفِه وتوجيهِه، وخلقِ قناعاتٍ جديدةٍ لدى أكبرِ عددٍ من المستقبِلين، فيعملُ البحثُ على تفنيدِ المسألةِ المطروحةِ من خلالِ دراسةِ أنموذجٍ منَ الواقعِ المشهودِ، مُستلهِماً أصولَ البلاغةِ القديمةِ، بوصفِها نشأتْ **نفعيّةً غائيّةً** من أجلِ التواصلِ والحجاجِ والتأثيرِ.

مسوّغاتُ البحثِ:

في إطارِ النّهضةِ البلاغيّةِ في العصرِ الحديثِ وتحوّلِ البلاغةِ في مختلفِ مجالاتِ المعرفةِ إلى ضرورةٍ تفرضُها قصديّةُ التأثيرِ النفعيّ، غدتْ لغةُ الخطابِ الموجَّهِ إلى الجمهورِ تمتحُ من مشاربِ البلاغةِ، بغيةَ دفعِ المتلقّي المستهدَفِ إلى ردِّ فعلٍ مُنجَز، يوظَّفُ ويُستثمر.

من هنا فإنَّ أهمَّ مسوّغاتِ البحثِ هو تحقّقُ موضوعِه، في ظلِّ تطوّرِ المعارفِ والعلومِ وتداخلِ مشاربِها، وتطوّرِ وسائلِ الإعلامِ وتقنيّاتِ التواصلِ، التي تكوّنُ تربةً خصبةً لفنِّ البلاغةِ الجماهيريّة؛ فيأخذُ البحثُ على عاتقِه الاشتغالَ على هذا الفنّ نظريّاً وتطبيقاً. بوصفِه خطاباً إجرائيّاً يتحلّى بمقدرةٍ على التأثيرِ في المتلقّي الجمعيّ.

منهجُ البحثِ:

سيتبعُ البحثُ خطواتِ المنهجِ الوصفيّ بأدواتِه الإجرائيّةِ التي تهدفُ إلى وصفِ البلاغةِ الهادفةِ لتحقيقِ أغراضٍ معيّنةٍ وصفاً موضوعيّاً ضمنَ السياقاتِ الخاصّةِ بها نشأةً وتطوّراً، ويناقشُها ويحلّلُها وفاقاً للمعطياتِ القائمةِ، ثمّ يخلصُ إلى أهمِّ النتائجِ المناسبةِ للمقدّمات، ثمّ يوظفُها في دراسةِ النموذجِ المختارِ.

من هنا سيكونُ مسارُ هذا البحثِ، من بعدِ تحديدِ مفاهيمِه المصطلحيّةِ، البدءَ ببيانِ اهتمام السفسطةِ بأساليبِ البلاغةِ المُؤَدْلَجة، أو النفعية؛ الأمرُ الذي أدّى إلى تشويهٍ في سُمعةِ البلاغةِ قديماً ثمّ حديثاً. وسيدرسُ البحثُ ذلك مُفصَّلاً ومُؤصَّلاً في محاورةِ جورجياس لأفلاطون، ليرصدَ بعدَ ذلك تجليّاتِ البلاغةِ المُؤَدْلَجة، أو المخادِعةِ بوصفِها نهجاً ينطوي على مؤثّراتٍ نفسيّةٍ وفكريّةٍ فاعلةٍ. من خلالِ النموذجِ المختار.

أوّلاً . مفاهيم مصطلحيّة:

الاستلهامُ: جاءَ في لسانِ العربِ: " وَأَلْهَمَهُ اللهُ خَيْراً : لَقَّنَه إيَّاهُ. واسْتَلْهَمَهُ إيّاهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُلْهِمَهُ إيَّاهُ. وَالإِلْهامُ: ما يُلْقَى في الرُّوعِ.... وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الوَحْيِ"[1]. فالاستلهامُ . كالاستيحاء . يدلّ على الطلبِ والرغبةِ في الأخذِ، وطلبِ الإرشادِ إلى أفكارٍ نادرةٍ أو شيءٍ نادرٍ متّصلٍ بالغيب أو الماضي، والدلالةُ على الطلبِ جاءتْ من زيادةِ الألفِ والسينِ والتاءِ في الصيغةِ الصرفيّةِ (استلهم). فيمكنُ . إذن . تصنيفُه مصدراً من مصادرِ المعرفة.

أمّا مفهومُ الاستلهامِ فنجدُ تعدّداً في صِيَغ مصطلحاتِه؛ منها: التوظيفُ، والاستدعاءُ، والاقتباسُ، والاستخراجُ من التراثِ، ويمكنُ أن تتقاطعَ جميعُها مع التناصّ أو العلاقاتِ النصيّة.[2]

وبذلك يكونُ الاستلهامُ ـ ولا سيّما استلهام التراث . حالةَ تنقيب واعية في التراث بوصفِه مُختزناً معرفيّاً يتمّ استدعاؤه، أو استحضارُه أو استعارتُه، ثمّ استيعابُه والمتحُ منه. وغالباً ما يكون الحافزُ هو التشابه بين التجربةِ الحاضرةِ والتجربةِ المستدعاةِ أو المُستوحى منها، فتنشأُ عمليّةُ تأثيرٍ وتأثّرٍ، وينشأُ تفاعلٌ يستثيرُ تجربةً جديدةً موظَّفة.

المخادِعة: جاء في لسانِ العربِ: " الخَدْعُ: **إظهارُ خلافِ ما تُخْفيه**،...خَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خِدْعاً...مِثْلُ سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ سِحْراً، ... وخادَعَهُ مُخَادَعَةً وخِداعاً، وخَدَّعَهُ واخْتَدَعَهُ: خَدَعَهُ. ... والعَرَبُ تَقُولُ: خادَعْتُ فُلاناً إذا كُنْتَ **تَرُومُ** خَدْعَهُ. ... والخِداعُ: **الحِيلَةُ**. "[3] والمخادِعةُ اسم فاعل من الفعل الثلاثيّ المزيد خادَعَ، الذي ينطوي على معنى القصدِ المضمرِ لعمليّةِ احتيالٍ عن طريقِ إظهارِ غيرِ ما يخفي، والمُخادِع في المجالِ الإعلاميّ هو الذي يقومُ بإيهامِ المخاطَبِ وتتويهِه "عن طريق تقديم معلوماتٍ ناقصة، أو كاملة لكنّها غير مفيدة، وتحريف جزء منها في الوقت نفسه "[4]. وقد يكونُ المخادِعُ وصفاً لفردٍ أو لمؤسّسةٍ جماعيّةٍ تقومُ بصياغةِ رسالةٍ وتركيبِها ونشرِها، "والهدفُ الرئيسُ من ذلك هو **خداع** المتقبّل المستهدَف من أجل تحقيق مكسب من الاستخدام الخاطئ الذي من المتوقّع أن يقوم به"[5].

---

[1] ابن منظور: *لسان العرب*، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم محمّد الشاذلي، ط3، دار المعارف، (لهم)5 / 4088 وما بعدها.

[2]- ينظر: صالح، أشرف فوزي: *الاستلهام مفهومه وضوابطه وحدوده*، مجلّة علامات، ج 67، مج 17، ذو القعدة 1429هـ، نوفمبر 2008م، 311.

[3] ابن منظور : (خدع)، 2/ 1112.

[4] الشحف، فريد حاتم: *الدعاية والتضليل الإعلاميّ (الأساليب والطرق)*، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سورية، دمشق، ط1 ، 2015م، 11.

[5]- حيدوري، لطفي: *التضليل الإعلاميّ .. من البراقدا إلى جامع الفتح*، موقع (الشاهد): بتاريخ الجمعة 23 جولية 2021- 23:08. وقد أحال على: Francoi Gere: dictionnaire de la disinformation. Armand Colin.baris 2011.bage 58

البلاغةُ المخادِعةُ، أو المُؤدْلَجَةُ تعني هذه المقولة أن تكونَ البلاغةُ بطبيعتها وتقنياتها الأسلوبيّة، أداةً ناجعةً في توجيه المتلقّي نحو ما ظهرَ من الخطاب. وتُعدّ هذه الأداة من أقوى أساليب الخداع التي تمارسُها القوى المهيمنة على إرادة الجمهور. ويتّصفُ الكلام المخادِع بصبغةٍ بلاغيّة ذات إغواء، الأمر الّذي يؤدّي إلى تحفيزِ المتلقّي والتأثير فيه. ويحرصُ المرسِلُ على اغتنامِ الفرص، أو الانتهازيّة، التي أسّست لها الحركةُ السفسطائيّةُ بقيادة جورجياس، عبر إنشاء الاستعاراتِ والتشبيهات والصورِ البلاغيّة، فتُثار بسببها لدى المتلقّي الجمعيّ صورٌ ذهنيّة يعدّها حقائق واقعيّة.

استلهامُ البلاغةِ المخادِعةِ: يُقصد بذلك أن يستعيرَ المتكلّمُ (المُبلّغُ المُخادعُ) ـ شخصاً كان أو مؤسَّسة ـ طاقاتِ البلاغةِ وفنيّاتِها وتقنيّاتِها بوصفها إجراءً فعّالاً متجذّراً في تجاربِ الشعوبِ والأممِ منذُ القرنِ الرابعِ قبلَ الميلاد، ليوظّفَها في عمليّةِ تأثيرٍ نفعيٍّ. ومن أهمِّ أدواتِها عمليّةُ استبدالِ السياق، أو استعارةُ مقالٍ من مقامه الأصل وتوظيفه في مقامٍ مُستجِدّ.

ثانياً ـ الخِداع (السُّمعةُ السيّئةُ للبلاغةِ)

إنّ الطرحَ الذي يرمي البلاغةَ في مرمى الخداع والنفعيّة، قد يبدو طرحاً غريباً بعضَ الغرابة؛ لأنّه قليلُ التداولِ لدى الدارسين، على الرغمِ من أصولِه الضاربةِ في القِدَم؛ عندما فرّق أفلاطون (427 _ 347 ق.م) في محاورة (جورجياس) بين بلاغتين[6]: بلاغةٍ جيّدة هي بلاغة الحقّ، وموضوعها الحقيقة، ويتمّ الوصول إليها بالعلم والاستدلال العقليّ لا بالكلام البليغ. وبلاغة فاسدة تقوم على الاحتمال، والإيهام بالكلام البليغ، الذي يجرّدُها من البُعدِ العلميّ، ويدخلُها في مجال الغلوّ والإيهام، ويخلقُ في نفوسِ السامعين اعتقاداً زائفاً يقتنعون به ويصدّقونه، بعيداً عن العلمِ والمعارفِ الصحيحة؛ إذ يتحيّلُ المخاطِبُ بسلطانِ البلاغةِ من أجلِ الإقناع. وقد وسمَ بها أفلاطون بلاغةَ السفسطائيّين التي انتقدَها، ووصفَ خطاباتِهم بالخطابات المُوهِمةِ للعقول، تحصرُ هدفَها في إثارة أهواء المخاطَبين وانفعالاتهم والتأثير في قناعاتهم. ومن هنا يمكنُ القولُ إنّ (أفلاطون) لم يحملْ على البلاغةِ في حدّ ذاتها، "وإنّما هاجَم بلاغاتٍ بعينها في سياق تاريخيّ محدّد ولأسباب محددّة"[7]؛ أي ما يقعُ في حيّز البلاغة الضارّة بحسب تصنيفه، على النحو الذي سيبيّنه هذا البحث.

وعند **العرب**، اهتمّ البلاغيّون القدماء بالبلاغةِ ذات الطابع المخادِع بسببِ نجاحِها في التأثيرِ والإقناع، واهتمّوا بما يتمتّعُ به القولُ البليغُ من مقدرةٍ على مُخادَعةِ المتلقّي مخادَعةً تولّدُ عنده موقفًا سلوكيّاً يتّصفُ بالانجذابِ أو النفور، يبني عليه المُرسِلُ هدفاً مُضمراً مقصوداً.

جاء في كتابِ البيان والتبيين **للجاحظ** (ت 255هـ) أنّ البلاغةَ هي البصَرُ بالحجّةِ والمعرفةُ بمواضعِ الفرصة، وإظهارُ ما غَمَضَ من الحقّ، وتصويرُ الحقّ في صورة الباطلِ، والباطلِ في صورةِ الحقّ [8]، وفحوى هذا القول الإشارة إلى ما ينبغي أن يتمتّعَ به البليغُ من مقدرةٍ بلاغيّة على تحقيقِ غرضِه من المتلقّي.

---

[6] ـ بليت، هنريش: *البلاغة والأسلوبيّة نحو نموذج سيميائيّ لتحليل النصّ*، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور محمّد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، 16. وينظر: عبيد، حاتم: *الخطابة في الربيع العربي أيّ دور وآيّة رهانات*، الجزء الثاني، مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2 وما بعدها.

ـ بارت، رولان: *قراءة جديدة في البلاغة القديمة*، ترجمة عمر أوكان، أفريقيا الشرق، 1994م ، 15.

[7] ـ عبد اللطيف، عماد: *نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة دراسة في مشروع البلاغة النقديّة*، مجلة نزوى، فصليّة ثقافيّة، تصدر عن مؤسّسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، العدد66 ـ أبريل 2011م ،ص58.الحاشية رقم 9.

[8] الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر: *البيان والتبيين* ،تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1948م، 113/1. وينظر 220.

وذكر الجاحظ ما جاء في صحيفةِ **بِشر بن المُعتمر** (ت210هـ) من أنّ أُولى منازلِ البلاغةِ عند البليغ الناجح أن يكونَ لفظُه مناسباً للطبقةِ المخاطَبة " إمّا عند الخاصَّة إنْ كنتَ للخاصَّة قَصَدت، وإمَّا عندَ العامَّة إنْ كنتَ للعامَّة أردت. والمعنى ليس يشرفُ بأن يكونَ من معاني الخاصَّة، وكذلك ليسَ يتَّضع بأن يكونَ من معاني العامَّة. وإنّما مَدارُ الشّرَف على الصواب وإحرازِ المنفعة، مع موافَقَة الحال، وما يجبُ لكلّ مقامٍ من المقال." [9]

ومن تقنيّاتِ المُخادَعة البلاغيّة تقنيةُ **الاستدراج**، فقد وصفَ **ابنُ الأثير**(ت637 هـ) الاستدراجَ بأنّه "**مخادَعات** الأقوالِ التي تقومُ مقامَ **مخادعات** الأفعال. والكلامُ فيه وإن تضمّن بلاغةً فليس الغرضُ هنا ذكرُ بلاغتِه فقط؛ بل الغرضُ ذكرُ ما تضمّنَه من النّكَتِ الدقيقةِ في استدراجِ الخصْمِ إلى الإذعانِ والتسليم. وإذا حقّق النظرُ فيه عُلم أنّ **مدارَ البلاغة كلّها عليه**؛ لأنّه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحةِ الرائقةِ ولا المعاني اللطيفةِ الدقيقةِ دون أن تكونَ مُستجلبةً لبلوغِ غرضِ المخاطب بها."[10] ، فالاستدراجُ أداةُ مُخادَعةٍ انتفاعيّةٍ لصالح المتكلّم، تمكّنه من "التوصّل إلى حصول الغرضِ من المخاطَب والملاطفة له في بلوغِ المعنى المقصود من حيث لا يشعرُ به، وفي ذلك من الغرائبِ والدقائق ما يوثقُ السامع ويطربُه؛ لأنّ مبنى صناعة التأليف عليه ومنشأها منه."[11]

. مفهومُ البلاغة المخادِعة بين القديمِ والحديثِ:

وُجِد المفهومُ النفعيّ للبلاغة منذُ القديم؛ مع نشوءِ السفسطائيّةِ في القرن الرابع قبلَ الميلاد؛ إذ يجدُ المطلّعُ على تاريخ نشأة البلاغة تداولاً لدى الدارسين لأسطورةٍ تقول: بعد انتهاءِ حُكمِ الطغاة، سارعَ ذوو الحقوقِ إلى محاولةِ استرجاع أملاكِهم، فاستعانوا بـ (كوراكس) أحد علماء الخطابة والبلاغة للدّفاع عن حقوقِهم. ومع مرور الزمن تطوّرت البلاغةُ وأصبحت تُدَرَّس أو تُتَعَلَّم، يُستعان بها في تدريب القُضاةِ والخطباءِ والناسِ على كيفيّة صناعة الحُجج وفنّ الإقناع والتأثير.[12]

كان معنى السفسطائيّ **قديماً** يدلّ على "الإنسان الحاذق أو العالم في موضوع ما، وهو مرادف لكلمة (sophos) "سوفوس"، التي تدلّ بذاتها بادئ الأمر على كلّ مهارة أو حيلة، وتحوّل هذا المفهوم فأصبح السفسطائيّ مغالطاً، ... في سبيل المرجعيّة السياسيّة"[13]؛ أي يتظاهر بالمعرفة ويخفي الحقيقة بقناع من البلاغة.

ومنذ ذلك الوقت استعملت كلمة "سفسطائيّ"[14] للدلالة على صاحب مهنة الكلام. وقد تميّز السفسطائيّون بالمقدرة اللغويّة وبالخبرة الجدليّة، فغدوا سادة فنّ الكلام، اهتموا بخصائص اللغة وأساليبها، وبحثوا في السبل التي تمكّنهم من

---

[9] المصدر السابق: 1/ 136.

[10] ابن الأثير، ضياء الدين: *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1358هـ . 1939م. 2/68.

[11] المصدر السابق: 2/69.

[12]- بارت، رولان: *قراءة جديدة في البلاغة القديمة*: 15. وينظر: بليت، هنريش: *البلاغة والأسلوبيّة نحو نموذج سيميائيّ لتحليل النصّ*، 29.

[13]- أندره، لا لاند: *موسوعة لا لاند الفلسفيّة*، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1961م، 1316- 1317.

[14]- في الأصل اللغويّ نجد أنّ "سوفا بلغة اليونانيين اسم "للعِلْم" وإسطا اسم " للغلط" فسوفسطا معناه "علم الغلط" أو "القياس المركّب من الوهميّات". ينظر: العجم، رفيق: *موسوعة كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون*، تقديم وإشراف ومراجعة، مكتبة لبنان ناشرون، ج1، 1998م، 1/ 957. 958.

تحقيق الإقناع وتغيير المواقف، واستعانوا بآليات إجراء اللغة بحسب الظروف التواصليّة ومقامات الناس وسياقات التخاطب. وقد أثّروا في تطوير البلاغة القوليّة التواصليّة.[15]

وحديثاً يظهرُ الوجهُ المخادعُ للبلاغة في العِلمِ الذي يدرّسُ البلاغةَ الاتّصاليّة الإعلاميّة الهادفة إلى الانتفاع، ويعلّم إنتاجها. وقد رسخ هذا المفهوم في أذهان المواطنين والباحثين المُحدثين الغربيّين، الأمريكيّين منهم تحديداً. والدليل على ذلك أنّ البلاغة في الوقت الراهن تُدرَس وتُدرَّس في أقسام **علوم الاتّصال** في معظم الجامعات الأمريكيّة، وليس في قسم اللغة والأدب وحده. وتُعنى أساساً بمدّ المؤسّسات المسيطرة بما تحتاج من تقنيّات البلاغة لإنجاز الهيمنة على مخاطبيها، وعلى المجتمع.[16]

وغدا من الشائع أن تُوضعَ البلاغةُ في مقابلٍ ضدّي لـ "الحقيقة" في عناوين المؤلّفات الأكاديميّة، في إشارة واضحة إلى أنّها تتقصّد الكذب ومخالفة الواقع وتزييفه بهدف الإغراض، الأمر الذي زادَ في سمعة البلاغة سوءاً. ولاسيّما ما تؤدّيه بعض الدراسات البلاغيّة المعاصرة من خدمة أصحاب المصالح، من السياسيّين والاقتصاديّين، بوصفها أداةً للسيطرة ذات قدرة عالية.[17]

ونجدُ في تعريفاتِ البلاغةِ الجديدة تعريفاً لدى شاييم بيرلمان يُبنى على انفتاح أفق التلقّي واتّساعه، وعلى الخاصّية الإقناعيّة التأثيريّة للرسالة اللغويّة في العمليّة التواصليّة الموجّهة إلى الجمهور وليس الأفراد فقط، يقول هذا التعريف: البلاغة الجديدة هي "حقلٌ يُعنى بدراسة الخطاب الموجَّه نحو المخاطب/المتلقّي/الجمهور بمختلف أشكاله، المتعدّدة، سواء كان حشداً مجتمِعاً في ساحة عامّة، أو في اجتماع لمختصّين، أو كان خطاباً موجّهاً نحو فردٍ واحد أو نحو البشريّة جمعاء"[18]. يبرز هذا التعريف الوظيفة الإبلاغيّة التي تنطلق من مراعاة خواصّ المقام والاهتمام بأحوال المتلقّي المُستَهدَف.

وأصبحتِ البلاغةُ قادرةً على التأثير والتحكّم في أذواقِ الناس[19]، و" تمرير الأفكار والتصوّرات والأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ماهو قائم في ذهن المتلقّي، والغاية هي إبعاده عمّا كان يعمر في ذهنه وإحلال ما نريد نحن مكانه، بتحريك الإعجاب، بما نعرض عليه، أو بخلق الصدمة أو الفتنة أو الاقتناع"[20]. وأصبح هذا النوع من البلاغة علامةً على صناعة الزيف المتدثّر بالمنطق، تُلبِسُ الباطلَ ثوبَ الحقّ.

ثالثاً . البلاغةُ المخادِعةُ في محاورةِ جورجياس لأفلاطون

قدّم أفلاطون كثيراً من المحاورات التي جعلَ بطلَها أستاذَه **(سقراط)**. وسوف نتناول "محاورة **جورجياس**"، التي تحملُ عنواناً فرعيّاً يوضّحُ مضمونَها هو " مقال في الردّ على أهل البلاغة والسفسطائيّين" [21]، "ذلك أنّ البيان يعالَج هنا فقط

وينظر: الجرجانيّ، عليّ بن محمّد بن عليّ : *التعريفات*، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الريّان للتراث، 330. "(الوهميّات): هي قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة، ...، والقياس المركّب منها، يسمّى : سفسطة. "

[15]- الكيلاني، مجدي: *تاريخ الفلسفة اليونانيّة من منظور معاصر*، دار التنوير، ط1 ، 2008م، 85.

[16]- ينظر: عبد اللطيف، عماد: *نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة دراسة في مشروع البلاغة النقديّة*، 50 وما بعدها.

[17]- المرجع السابق: 50 وما بعدها.

[18]- ينظر: بن يحيى، ناعوس: *حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج*، مجلّة جيل للدراسات الأدبيّة والفكريّة، مجلّة علميّة دوليّة محكّمة تصدر شهريّاً عن مركز جيل البحث العلميّ، الجزائر، مجلّد 5، العدد 47، ديسمبر 2018م، الجزائر، 9.

[19]- صمّود، حمادي: *من تجلّيات الخطاب البلاغيّ*، تونس، دار قرطاج للنشر، ط1، 1999م، 133- 135.

[20]- المرجع السابق: 134.

[21]- أفلاطون: *محاورة جورجياس*، ترجمه عن الفرنسيّة محمّد حسن ظاظا، مراجعة الدكتور علي سامي النشّار، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، 1970م، 31.

من حيث قيمته السياسيّة والأخلاقيّة. ويعلن أفلاطون في شدّة لا ترحم: إنّه فنّ الكذب الضارّ بالدول والأفراد. ولهذا أصبح في الإمكان تسمية المحاورة "**ضدّ البيان**"."[22]على نحو ما يرى ألفرد كروازيه مترجمُ المحاورة عن اليونانيّة.

يدور موضوع الحوار بين سقراط وجورجياس حول "**فنّ البيان**"؛ بحثاً عن تعريف دقيق له يحدّد وظيفتَه الخاصّة؛ فيُظهر أفلاطون أستاذه (سقراط) في مواجهةِ ثلاثةٍ من المحاورين السفسطائيين هم بولوس وكالكليس وعلى رأسهم أستاذهم جورجياس، ويأخذ سقراط في إحراج المتحاورين الثلاثة، حتّى يفسدَ عليهم حُججَهم.

دفاع جورجياس عن قوّة البيان:

يبدأ جورجياس الكلام بالإعلان أنّه أستاذ البيان، الذي يستطيع بفضل البيان وحده أن يجيب عن كلّ سؤال[23]، وأنّ البيان "يعلّمنا كيف نقنع الناس بالعدل والظلم، وكيف نثيرهم ونضلّلهم ونذهلهم ونحكمهم" [24]. ويرى بوصفه أستاذ فنّ البيان أنّ فاعليّة البيان وقوّته تأتيان من امتلاكه القدرة على الإقناع بوساطة الكلام وحدَه، فعندما تعرف كيف تتكلّم تستطيع أن تقنعَ الجماهير وأن تسخّرَ الجميع. والبيان هو الخير الأسمى، الذي يمنح الحائز عليه الحريّة بالنسبة إلى نفسه، والسيادة على الآخرين[25]. ويجدّ جورجياس في الكشف عن **قوّة** البلاغيّين في خطاباتهم؛ فهم يضارعون أمهرَ الناس في مهنته، حين يقدّمون لهؤلاء المَهَرة نصائحَهم وآراءهم التي تحظى بنصيبٍ من الغلَبة على آراء الآخرين.[26] يقول: "**سنرى أنّ البيان يضمن في ذاته ...جميعَ القوى ويسيطر عليها. وسأقدّم لك دليلاً واضحاً؛ فقد حدث لي كثيراً أن رافقتُ أخي أو غيره من الأطبّاء إلى مريضٍ ما، يرفض دواءً ولا يريد أن يستسلم لعمليّة الشرط والكَيّ، وبينما لم يجدِ حثّ الطبيب استطعتُ أن أقنع المريض بفنّ البيان وحده ...وسيكون الأمر بالمثل تجاه أيّ رجل من رجال المهن الأخرى: إنّ الخطيب هو الذي سيجعل الناس يختارونه دون غيره أيّاً كان منافسه. ذلك أنّه ما من مجموع إلاّ ويستطيع من يعرف البيان أن يتحدّث فيه أمام الجمهور بطريقة أكثر إقناعاً ممّا يستطيعه صاحب حرفة أيّاً كانت، ذلك هو البيان وما يستطيع.**"[27]

ويرى جورجياس أنّ المتمكّن من فنّ البيان " قادر من غير شكّ على أن يتكلّم ضدّ أيّ خصم، وفي كلّ موضوع، على نحو يقنع الجمهور إقناعاً أفضل من غيره، بحيث ينال من الجمهور بكلمةٍ، كلّ مايريد"[28].

نقض أفلاطون قوة البيان:

أمّا افلاطون . على لسان سقراط . فيجدّ في التقليل من قوّة البيان بالمفهوم الذي يطرحه جورجياس[29]، ويصفه بأنّه ليس بعلمٍ وليس بفنّ؛ بل هو نوعٌ من التملّق، لا يهدف إلى الخير أو الحقّ[30]؛ إذ إنّ فنّ البيان الرفيع الصحيح الإيجابيّ ينبغي أن يكون فنّ إقناع الناس بالحقّ والعدل، وينبغي أن يستعين **بالفلسفة**، ولكنّ السفسطائيّين يشوّهونه بالمنطق الزائف لكي يخدعوا المستمعين، وبهذا يقتنع الشعب الوادع الجاهل ببيان أولئك "الاستغلاليّين" الذين يتملّقونه.

---

[22]- المرجع السابق، مقدّمة للأستاذ ألفرد كروازيه، 11.

[2323]- المرجع السابق: 6.

[24]- المرجع السابق: 7.

[25]-المرجع السابق: 37 - 40 .

[26]- ردّاً على سقراط عندما سأله : " .. هل يكون من اختصاص الخطيب إذا ما اجتمعت جمعية لاختيار أحد الأطباء أو أحد بناة السفن أو غير هذين من أصحاب المهن أن يبدي رأياً ؟ لا - لأنّه واضح أنه ينبغي علينا أن نفضّل في كلّ اختيار من هذا القبيل أمهر الناس في مهنته .... " فما هي هذه القوة التي ينطوي عليها البيان هنا ؟ ينظر: أفلاطون: *محاورة جورجياس*، 45.

[27]- المرجع السابق: 46.

[28] - المرجع السابق: 47.

[29]- المرجع السابق: 42-45.

[30]- المرجع السابق: 15 وما بعدها.

ويبيّن أنّ سلبيّات البيان أو البلاغة لدى السفسطائيّين تأتي من أنّ القياس عندهم قياسٌ مغلوط، والاستدلالَ عندَهُم يُبنى على مقدِّماتٍ زائفةٍ، يتلبّسُ صورةَ المنطقِ وليسَ بمنطقٍ، وأنّهم يطبّقون ذلك على البيانِ الذي يقومُ عندهم على إتقانِ صناعةِ الكلامِ الساحر، والانتهازيّة في استخدامه، الأمر الذي يمكّنُهم منْ سيطرةِ آرائِهم على عقولِ الجماهيرِ[31].

ويرى أنّ الإقناع الذي ينتجه هذا البيان ناجم عن العقيدة المجرّدة من العلم؛ إذ إنّ رجلَ البيان أو الخطيب . بحسب مفهوم جورجياس . يستطيع أن يقنعَ الجمهور **بأمرٍ يجهلونه لا بأمرٍ يعرفونه أو يتقنونه** من دون أن يعلّمهم إيّاه، فهذا الإقناع يعملُ مُستقلاً عن كلّ عِلمٍ حقيقيّ؛ "لأنّه ليس لديه لما يقدّم من أشياء، سبب قائم على طبيعة الأشياء، وبالتالي لا يستطيع أنْ يربطَ بينها وبين عللها"[32]؛ إذ إنّ جاهلاً بالطبّ لكنّه عالم بالبيان عندما يتحدّث مستخدماً فنَّ القول أو البيان أمام جَهَلةٍ بالطبّ هو الذي يتغلّب على العالِم بالطبّ؛ لأنّ "**البيان لا يحتاج إلى معرفة الحقائق عن الأشياء، وحسبُه أن يخترعَ طريقةً ما للإقناع يظهرُ بها أمام الجَهَلَة أكثر علماً من العلماء** "[33].

بعدما بيّن أنّ البيانَ ليس علماً، يثبتُ أيضاً أنّه ليس فناً؛ بل يُعدّ نوعاً من الموهبة في إقناع الجاهل، من أجل تحقيق المتعة لدى المستمعين ومتعة الهيمنة لدى المتحدّث. والتأثير الذي يحدثه هذا البيان هو اللذّة والانشراح وليس الإقناع[34]، لذلك يقول: "إنّ البيانَ كما يلوح لي مزاولةُ عمليّةٍ غريبةٍ عن الفنّ، ولكنّه يتطلّب نفساً ذات خيال وجرأة وقدرة بالطبع على الاتّصال بالناس، وأرى أنّ الاسم النوعي لهذا النوع من المزاولة العمليّة هو **التملّق**"[35]، لهذا السبب يعدّ فعلاً قبيحاً، "ينصب فخّاً للحماقة التي يخدعها، ويفوز بالاعتبار. وهكذا فإنّ الطهي **يزيّف** الطبّ، ويتظاهر بمعرفة الأغذية الأكثر ملاءمة ... إنّني أسمّي مثل هذا التطبيق **بالتملّق**، وأعتبره شيئاً **قبيحاً** ... لأنّه يتوجّه إلى اللذّة دون أن يُعنى بالأحسن"[36].

وعلى هذا النحو استخلصَ أفلاطون على لسان سقراط أنّ مفهوم البيان لدى السفسطائيّين، ليس بعلمٍ، وليس بفنّ، إنّه في النهاية "**تملّق**" مُخادِعٌ نفعيّ، يستطيعُ البليغُ المفوَّهُ الحاذقُ في صناعة الكلام أن يخلقَ معتقداتٍ جديدةً في الآخرين. يقولُ سقراط: "أترى أنّ الخطباء يتحدّثون دائماً ورائدهم الخير الأعظم مهتمّين دائماً بجعل المواطنين أفضل عن طريق خطبهم، أم ترى أنّهم يجرون وراء إشباع رغبات الجمهور، وأنّهم يضجّون بالصالح العامّ في سبيل صالحهم الشخصيّ، **ويعاملون الجمهور كأطفال يريدون قبل كلّ شيء إرضاءهم**، دون أن يهتمّوا بأن يعرفوا إذا كانوا يجعلون الناس أفضل بهذه الطريقة أو أسوأ "[37]. ويختم سقراط: "إذن كان هناك نوعان من البلاغة السياسيّة، أحدهما **تملّق** وهو شيءٌ قبيح، والآخر وحده **جميل**، وهو الذي يعملُ على جعلِ نفوس المواطنين أفضل ... **ولكن هل التقيتَ أبداً بهذا البيان ؟** "[38]. مضمِّناً سؤاله معنى النفي.

---

[31]- المرجع السابق: مقدّمة المترجم ص 5 وما بعدها. وينظر: مهدي، فضل الله: *مدخل إلى علم المنطق التقليديّ*، دار الطليعة، بيروت، ط 1979م، 28- 35.

[32] - أفلاطون: *محاورة جورجياس* ، 58.

[33]- المرجع السابق: 50.

[34]- المرجع السابق:54.

[35] - المرجع السابق: 55،56. في ترجمة أخرى: الإطراء، ينظر: قريرة، توفيق: *البلاغة موكّلة بالمنطق*، أستاذ اللسانيّات في الجامعة التونسيّة. جريدة القدس العربي، 8 أكتوبر 2018.

[36]- أفلاطون: *محاورة جورجياس*: 57- 58.

[37] - المرجع السابق: 119.

[38] - المرجع السابق: 119.

يستطيع قارئ المحاورة استخلاص رأي أفلاطون . عبر أرسطو. في البلاغة؛ فقد هاجم فيها الجانب السلبيّ الذي كان سائداً، لما يحمل من الأذى، وعدّه نوعاً من الخداع والتمويه، ودعا إلى إنشاء بلاغةٍ إيجابيّةٍ تنشدُ الخيرَ والفائدة؛ قائمة على العلم، والمنطق السليم، لا تُقنِع الجمهور بإيهامه من أجل استلابه وإذعانه عاطفيّاً تبعاً للأهواء.

رابعاً . البلاغةُ المخادِعةُ في أنموذج (الربيع العربيّ)

ينبني أيّ خطاب في أيّ موقف تواصليّ على رسالةٍ ومتشارِكَين هما المرسِل والمتلقّي، في علاقةٍ ديناميّةٍ متينة. فعندما تبثّ محطّاتٌ إعلاميّة واسعة الانتشار رسالةً ذات عنوان عريض تفتنّ في صياغته اللغويّة؛ من يكون المتكلّم، ومن يكون المتلقّي؟ وما القصد؟

إنّ أهمّ وظائف اللغة_ بسحب نظريّة التواصل _تجلّت في إقامة علاقة بين الرسالة (الربيع العربيّ) ومتلقّيها(العرب). يقول ياكبسون مقدّماً صورة مختصرةً عن العوامل المكوّنة لكلّ فعل تواصليّ لفظيّ: "إنّ **المرسِل** يوجّه **رسالة** إلى **المرسَل إليه**. ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنّها تقتضي ... **سِيَاقاً** تحيل عليه، ... سياقاً قابلاً لأن يدركه المرسَل إليه، وهو إمّا أن يكون لفظيّاً أو قابلاً لأن يكون كذلك؛ ... وتقتضي الرسالة، أخيراً، **اتّصالاً**، أي قناة فيزيقيّة وربطاً نفسيّاً بين المرسِل والمرسَل إليه."[39]. ومن هنا لا يمكن فهم رسالة (الربيع العربيّ)، وأثرها في المرسَل إليه، قبل الرّجوع أوّلاً إلى السياق المركّب الذي أُنشئت فيه.

. سياق الحال ومقتضاه:

ظهر مصطلح الربيع العربيّ لأوّل مرّة في وسائل الإعلام الغربيّة، على لسان الأمريكي (Mark Lynch) بروفيسور في العلوم السياسيّة في جامعة جورج واشنطن، عندما كتب مقالاً في مجلّة أمريكيّة اسمها (Fareign Policy) واختصارها (F P)، بعنوان " Obama s Arab spring"، يعني "الربيع العربيّ التابع لأوباما"، في 6 يناير 2011 م، ثمّ سرعان ما بدأت القنوات الفضائيةّ العربيّة بتداول مصطلح "**الربيع العربيّ**" بعد ترجمته حرفيّاً.[40]

لقد استطاع انتشار تكنولوجيا الإعلام، أن يكونَ أبرز نقاط القوّة في الحربِ الناعمة، وأصبحَ من السهل أن يروّجَ المرسلُ ما يريد عبر الاشتغال على خطابٍ موجّه، بشتّى الطرق، ومن بين هذه الطرق توظيف اللغة التواصليّة المنتَجة، باختيار أساليبها التعبيريّة التي تبنى على التصوير والمجاز لخلق حالةٍ من التخيّل والإيهام والإيحاء والتأثير العاطفيّ المجرّد من الحسّ المنطقيّ والتفكير النقديّ؛ إذ يتمكّن المشتغل على الخطاب الإعلاميّ _ بقراءته سياق الحال وتحليله أحوال المتلقّي العربيّ _ من أن يجعلَ من آليّات التعبير بلاغةً مضادّة تعتمدُ على الخداع الخفيّ، كالتلطّف والتجميل والإبهار وإظهار الاهتمام.

ولعلّ ما جاء في "**ضدّ البلاغة/البيان**" لأفلاطون يعدّ أساساً جينالوجيّاً للخداع البلاغيّ الإعلاميّ المعاصر؛ الذي يتطلّب مقدرةً عالية على الاتّصال بالناس ومعرفة أحوالهم وميولهم[41]. فيؤسّس قوّته على قراءته سياقاتِ التخاطب في العالم العربيّ، ومعطيات الأحوال التاريخيّة والجغرافيّة والاجتماعيّة والنفسيّة ... قراءة دقيقة.

---

[39]- ينظر: ياكبسون، رومان: *قضايا الشعريّة*، ترجمة محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 1988م،27.

[40]- ينظر: بن محمّد، نجيب: *الربيع العربيّ، حفريّة في المصطلح ودلالته السياسيّة*: 4/ مارس/ 2018م. موقع سياسة بوست - مجتمع الأفكار. وفيه أيضاً: ينسب أصل هذا المصطلح إلى الثورات الأوربيّة 1789 - 1848م، التي أطلق عليها المؤرّخون تسمية (ربيع الشعوب). ثمّ نجد في عام 1956 (ربيع بودابست)، وفي عام 1968 (ربيع براغ)، وهما اسمان أطلقتهما أمريكا، وكانت المستفيد الأوّل منهما.

[41] أفلاطون: *محاورة جورجياس*، 55- 56.

. المرسِل:

تدرسُ البلاغةُ القديمةُ مرسِلَ الرسالة من خلال "مفهوم الحجج، في علاقتها بالخطيب، وتكيّفه مع الجمهور"[42]، ويتمتّعُ المرسِل بمعرفة ما يدهشُ مخيّلة الجماهير وينجح في تحريضها. ويمكنُ وصفُ المرسِل بالهادف إلى التأثير العاطفيّ عن طريق الإقناع الإيهاميّ، وحصر المتلقّي "في فخّ فكريّ لا يمكن أن يتخلّص منه إلا بتبنّي الفعل أو الرأي الذي "تقترحه" عليه"[43]. فعندما تعرف كيف تتكلّمُ تستطيعُ أن تقنعَ الجماهيرَ وأن تسخّرَ الجميع[44]. ومرسِلُ (الربيع العربيّ) في الواقع . هنا. مرسلان اثنان ظاهر ومضمر:

أ . المرسِل الظاهر: هو الباثّ، بالمفهوم الإعلاميّ، ويتكوّن من مستخدمي اللغة أداءً، من هيئاتٍ ومنظّمات، ومعدّي البرامج والعاملين في المحطّات الإعلاميّة، وشبكات التواصل الاجتماعيّ، والمذيعين، والصحفيّين. ويختار الباثّ وسيلةً تناسب المخاطَب الجماهيريّ الذي لا يتأثّر بالمنطق والبرهان، هذه الوسيلة هي الكثرة والتكرار **من أجل التأكيد**؛ التأكيد "المجرّد والعاري من كلّ محاجّة عقلانيّة أو برهانيّة، ... وكلّما كان التأكيد قاطعاً وخالياً من كلّ برهان ... فرض نفسه بهيبةٍ أكبر"[45]، فتكرار (الربيع العربيّ) وتسلّله إلى أيّ خطاب، يؤدّي إلى رسوخه في النفوس "إلى درجة أنّه يُقبل كحقيقة برهانيّة ...ينتهي به الأمر إلى الانغراس في تلك الزوايا العميقة للّاوعي حيث تُصنع دوافع كلّ أعمالنا. فبعد أن تمرّ فترة من الزمن ننسى من هو مؤلّف القول المكرّر وينتهي بنا الأمر إلى حدّ الإيمان به"[46]. وقد حرص الباثّ على تكرار (الربيع العربيّ) حتّى غدا منغرساً في النفوس التي تلقّته.

ب . المرسِل المُضمَر: المقصود به مَن ينشئون الكلام، الذين صاغوا عبارة (الربيع العربيّ) غير البريئة، وهم من أصحاب التوجيه السياسيّ الخارجيّ، وأصحاب الأهداف والمقاصد والمصالح. إنّهم فريق من المفكّرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع المنضوين تحت رايةٍ معينّة. يتطلّب إتقانهم مهمّتهم " نفساً ذات خيال وجرأة وقدرة بالطبع على الاتّصال بالناس"[47] كما يقول أفلاطون[48]، ويتميزون بسعيهم إلى إلباس عباراتهم غلافاً من التملّق يأنس إليه تفكير المتلقّي، بغية ترغيبه وتحفيزه إلى شيءٍ يفتقر إليه، الأمر الذي أدّى إلى فرض (الربيع العربيّ) نفسه شعاراً، ومصطلحاً متداولاً.

فمنشئ (الربيع العربيّ)، عمل على استهداف طبقة العامّة في الغالب، فيظهر المرسل علَماً من العلماء أمامها؛ إذ استطاع بالتحيّل اللغويّ والبيان القويّ أن يخلقَ لديهم اعتقاداً زائفاً[49]، وأن "ينال من الجمهور، بكلمةٍ، كلّ ما يريد"[50]، مثلما يستطيعُه باستعمالِ كلّ الفنون القتاليّة الأخرى[51]. فيكونُ بذلك قد ثبّت (الربيع العربيّ) في مجالٍ نفعيّ.

---

[42]- بارت، رولان: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، 19.

[43]- بروطون، فيليب: *الحجاج في التواصل*، ترجمة محمّد مشبال، عبد الواحد التهامي العلميّ، المركز القوميّ للترجمة، ط1، 2013م، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،25.

[44]- أفلاطون: *محاورة جورجياس*، 37 - 40 .

[45]- لو بون، غوستاف: *سيكولوجيّة الجماهير*، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1991م، 132.

[46] - المرجع السابق: 133.

[47] - أفلاطون: *محاورة جورجياس*،57

[48] - إن دغدغة رغبات الجمهور وعواطفه، لأشدّ إقناعاً من الاحتكام إلى العقل؛ إذ إنّ الطاهي كفيل بأن يهزم الطبيب في جدال حول الغذاء أمام جمهور من الأطفال، وإنّ سياسيّاً قد تسلّح بقوة البيان وحيَل الإقناع كفيل بأن يهزم أي مهندس أو عسكري في جدال أمام تجمّع من كبار المهندسين والعسكريين. ينظر: أفلاطون: *محاورة جورجياس*،57 وما بعدها، 60 وما بعدها، 145 وما بعدها.

[49] - المرجع السابق: 46- 50.

[50] - المرجع السابق : 47.

[51] - المرجع السابق: 46

ويؤكّدُ علمُ النفسِ الاجتماعيّ الحديث على لسان المفكّر غوستاف لو بون أنّ "محرّكي الجماهير من الخطباء لا يتوجّهون أبداً إلى عقلها وإنّما إلى عاطفتها ...فلكي نقنع الجماهير ينبغي أوّلاً أن نفهم العواطف الجيّاشة في صدورها، وأن نتظاهر بأنّنا نشاطرها إيّاها ثمّ نحاول بعدئذٍ أن نغيّرها عن طريق إثارة بعض الصور المحرّضة بواسطة الربط غير المنطقيّ أو البدائيّ بين الأشياء. وينبغي أن نعرف في كلّ لحظة كيف نتراجع، ثمّ ينبغي بشكل خاصّ أن نخمّن في كلّ لحظة العواطف التي نولّدها"[52].

وتعدّ استراتيجيّة استثارة العواطف[53]، من أهمّ الاستراتيجيّات التي يستخدمُها المرسلُ للإيهام والخداع والاستدراج من مدخل الإعلام؛ إذ يكثرُ من استخدامُ المفردات العاطفيّة للوصول إلى اللّاوعي، وتعطيل التحليل المنطقيّ والحسّ النقديّ. وهذا ما حقّقه مستخدم (الربيع العربيّ)، بترويجه عبر بثّه وترديده وتكراره، الأمر الذي رسّخه لدى المتلقّي العربيّ الذي استسلم له وردّده حتّى أصبح أمراً واقعاً في معجمه اللغويّ التخاطبيّ.

***الرسالة*:**

تدرس البلاغةُ القديمةُ الرسالةَ بوصفها لغةً أو صياغة؛ أي تدرس وجوهَ الكلام، ونظامَ أجزاء الخطاب.[54] وتعدّ الرسالة بمفهوم جورجياس الفنّ الذي يكون فيه الكلام البليغ هو الشيء الأهمّ، ولا سيّما حين يكون عامل إقناع في السياقات السياسيّة. ويُفَضَّل فيها أن تذكرَ ما يعتقده الجمهور ممكناً، حتّى لو كان هذا الممكن مستحيلاً علمياً[55]؛ أي أن تكون البلاغة جماهيريّة، " **من الممكن أن نثيرها في مخيّلة الجماهير عن طريق الاستخدام الذكي والصائب للكلمات والعبارات المناسبة. فإذا ما استخدمناها بشكلٍ فنّي لبق فإنّها تستطيع عندئذٍ أن تمتلك القوّة السريّة التي كان اتباع السحر يعزونها إليها في الماضي. فهي تثير في روح الجماهير العديدة أقوى أنواع الإعصار، ولكنّها تعرف أيضاً كيف تهدّئها. ويمكننا أن نبني هرماً أكثر علوّاً من هرم كيوبس العتيق بواسطة عظام الضحايا فقط، أقصد ضحايا الجماهير التي هيجتها الكلمات والعبارات**"[56] بحسب رأي مفكّر علم الاجتماع غوستاف لو بون.

لقد أُرسلَ (الربيع العربيّ) إلى الجماهير العربيّة، بهيئة تركيبٍ لغويّ مصوغ صياغةً مجازيّة تصويريّة، مشبعة بالإيجاز والتكثيف، الأمر الّذي جعله وسيلةً أسلوبيّة " تُجَمِّلُ الخطاب بجعله ممتعاً، سواء في التعبير الشفوي أو التعبير الكتابي"[57]، وتترك أثراً مستساغاً في الأذن وإحساساً بالوضوح، وهذا ما يحقّق **الإغراء** "الذي يستعمل غالباً لحمل الآخر أو حتّى الجماهير بأسرها، على مشاطرة وجهة نظر ما."[58]

تنتمي رسالة (الربيع العربيّ) إلى ما يمكن تسميته الخطاب السياسيّ الجماهيريّ الإيديولوجيّ، "الذي ينطوي على نصّ تحريضيّ دعائيّ، وقد يكون خطبة أو خبراً أو شعاراً أو أغنية أو طرفة، يسعى إلى أداء وظيفة ما بحسب قصد منتجه،

---

[52] ـ لو بون، غوستاف: *سيكولوجية الجماهير* ، 123- 124.

[53] ـ ينظر: تشومسكي، نعوم: *عشر استراتيجيات للتحكّم بالشعوب*، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجيّة، آب. 2012م.

وينظر: الصبّاغ، رنا: *نعوم تشومسكي يشخّص "استراتيجيّات التضليل" العشر*، جريدة الغد الإلكترونيّة، الأردن، تمّ النشر بتاريخ 2017/7/19م. https: algahad.com

[54]ـ بارت، رولان: *قراءة جديدة للبلاغة القديمة*، 19.

[55]ـ المرجع السابق: 21.

[56]ـ لو بون، غوستاف: *سيكولوجية الجماهير*،116.

[57]ـ بروطون، فيليب: *الحجاج في التواصل*،25.

[58]ـ المرجع السابق: 25.

وفي هذا اللون من الخطاب تنتعش المجازات، وتؤدّي وظائفها في الجذب والإغراء والإقناع"[59]. وتأتي قوّة هذه الجملة الرسالة (الربيع العربيّ) من قوّة إيحائها وما تثيره في الجماهير، كأنّ "حروفها تمتلك قوّة سحريّة بالفعل، كما لو أنّها تحتوي على حلّ لكلّ المشاكل"[60].

ويرى علم الاجتماع أيضاً أنّه عندما نريد أن نؤثّر في الجمهور بوساطة الكلمات " ينبغي علينا أوّلاً أن نعرف ما هو معناها بالنسبة له في لحظة معيّنة." [61]، واستمراراً لرأي جورجياس، يقول غوستاف لو بون: "**فقوّة الكلمات وتأثيرها من الضخامة بحيث إنّه يكفي على القادة أن يعرفوا اختيار الكلمات لكي يجعلوا الجماهير تقبل أبشع أنواع الأشياء.**"[62].

على **المستوى التركيبيّ** تبدوّ جملة "الربيع العربيّ" مُتَلفَّظاً مؤلّفاً من كلمتين فقط، تمّ اختيارهما من تركيبٍ أصلٍ يمكن تقديره بالرجوع إلى البنية العميقة، من قبيل: هو الربيع العربيّ، أو هذا الربيع العربيّ، أو نقدّم لكم الربيع العربيّ، أو **حراككم الشعبيّ** يشبه الربيع، أو إن **حراككم** يشبه ربيع الشعوب لكنّه ربيع خاصّ بكم أنتم العرب. وعندما يُجرى الحذف من دون استبدال المحذوف أو تعويضه في البنية السطحيّة يكتسب التركيبُ الاختزالَ والتكثيف والاقتصاد اللغويّ؛ إذ يُبقي على الموصوف وصفته وحدهما، الأمر الّذي يفتح باب التأويل الدلاليّ على فضاء واسع؛ إذ إنّ الموصوف ممّا تتوق إليه النفس فكان أوّل ما يُتلفَّظ به تشويقاً وترغيباً، فتصدّرَ الجملة. أمّا صفته فهي محدّدة بالإطار المكاني جغرافيّاً_ العالم العربيّ _ المرتبط بالإطار التاريخيّ الخاصّ بالمتلقّي، ممثَّلاً بالحاضر المعيش والماضيّ الحضاريّ والروحيّ. الأمر الذي يمنحه من ناحية السماع صفة الخفّة والسهولة والألفة والإغراء والجاذبيّة، ومن الناحية الغائيةِ المصداقيّةَ والمقبوليّةَ.

على هذا النّحو ينشئ المرسِل _ وفاقاً لأهوائِه وأهدافه وتصوّراتِه المُسبقة _ رسالته بوصفها الآليّة المحقّقة للهدف. ويُعني بنسجها بصيغة تعبيريّة تحتوي على طاقةٍ سحريّة ظاهرة لا تكادُ تقاوم، تحظى بحُسن استقبالٍ من قبل المتلقّي الضحيّة، لكنّ في باطنها مقاصدَ وغاياتٍ مخفيّةً يغفل عنها المتلقّي المستهدف، لأسبابٍ منها: الاستلاب، والحاجة، والفجوة، والانبهار؛ إذ يغدو منجذباً إلى ما تتوقُ إليه نفسُه من رغبةٍ في ربيع عربيّ فِعليّ حقيقيٍّ واقعيٍّ، فيقعُ ضحيّةَ خيبةِ الأمل.

أمّا على **المستوى التصويريّ التخييليّ** فإنّ الصورة البلاغيّة (الربيع العربيّ) في هذا السياق صورة متداخلة بين استعارتين، بحسب تقدير المشبه أو المشبه به الذي تحيل عليه قراءة السياق التواصليّ، فيغدو التركيب (الربيع العربيّ) مرّة مشبَّهاً به ومرّة مشبَّهاً.

في استعارة أولى يكون المشبه به (الربيع)، والمشبه (الحراك الشعبيّ) بوصفه دالّاً يحمل مدلولين نقيضين في الواقع: مدلولاً ظاهراً هو (الحراك الشعبيّ)، ومدلولاً خفيّاً هو (الفوضى)، الذي تقنّع بقناع الحراك الشعبيّ. من هنا أزهر الوهم وتفعّل القياس الخاطئ الذي أوهم المتلقّي بمنطقيّته؛ إذ أوهم المرسلُ برسالته المرسَلَ إليه (الجماهيريّ _ الشعبيّ) أنّ (المشبّه) هو الحراك الذي يقوم به، وأنّ هذا الحراك ما هو إلّا من أجل مستقبل جديد ربيعيّ مزهر، في حيّن يكون مضمر الرسالة أنّ الفوضى وتبعاتها هي المشبّه، فحدثت المغالطة القياسيّة ومن ثَمّ الخداع. والأصل في الإجراء أن يقال: إنّ حراكَكم يشبهُ الربيعَ [والمعنى الجامع بينهما التجدّد والازدهار ... إلخ]، الأمر الذي يفيد المبالغةَ والإثبات،

---

[59]- علي حسن، عمّار: *كيف وظّف الخطاب السياسيّ العربيّ الدين والبلاغة*: عن دراسة للدكتور وليد عبد الحيّ، عن مقال من موقع (حفريات)، 2018م.

[60]- لو بون، غوستاف: *سيكولوجية الجماهير*، 116.

[61]- المرجع السابق: 118- 119.

[62]- المرجع السابق: 119. وينظر: أفلاطون: *محاورة جورجياس*، 47.

حتّى غدا وجهُ الشبه أو المعنى الجامع " كالشيء الذي يجبُ له الثُّبوت والحصول، وكالأمر الذي نُصِبَ له دليلٌ يقطع بوجوده"[63]، وذلك أنّه إذا كان ربيعاً فواجبٌ أن تكون له تلك الدلالة على الخصب والازدهار والانتقال من شتاء الحياة إلى ربيعها، "وكالمستحيل أن يَعْرَى عنها"[64].

وفي استعارةٍ ثانية يكون (الربيع العربيّ) مشبّهاً، و(ربيع الشعوب) مشبّهاً به، فتكون الاستعارة تمثيليّة؛ لأنّها وقعت في مركّب لغويّ وليس في لفظ مفرد، وأُطلق في البلاغة العربيّة على هذا النوع اصطلاح المجاز المركب[65]، فالتركيب الاستعاريّ وفاقاً لهذا التقدير يقوم على علاقة المشابهة، ولكنّها هنا ليست مشابهةً بين لفظين كما يدلّ الظاهر؛ بل بين حالين **كليهما مجازيّ**، والقرينةُ حاليّة أيضاً، وهذا من أهمّ خصائص الاستعارة التمثيليّة وأوضح حدودها**[66]**. فتصبح دلالة المعنى الجامع القائم على المشابهة: إنّ ربيعَكم العربيّ يشبه ربيعَ الشعوب الأخرى، الذي حملَ لها الخير والمنفعة. ثمّ اختُصر التركيب_ بوصفه رسالة _ في بنيةٍ سطحيّة ظاهرة، متداخلة الدلالات والتأويلات (الربيع العربيّ).

إنّ استعارةَ (الربيع العربيّ) من تركيبٍ لغويّ مجازيّ سبق صنعه لاستخدامه في سياقٍ مشابه، على سبيل الاستعارة التمثيليّة، **توازي مفهوم الاستلهام**، أو **الاستشهاد** بمثالٍ ناجح في السياق المُستعار منه، ارتقى إلى رتبة النموذج الذي يأخذ مرتبةً إقناعيّة فاعلة وحضوراً قويّاً في وعي المتلقّي؛ أي استعارة الربيع بوصفه شعاراً من سياق تاريخيّ مماثل وإطلاقه على ظروفٍ مشابهةٍ في العالم العربيّ. فكان التغيير في النسبة فقط (العربي)، ليناسبَ المستعارَ له. والغرضُ هو توخّي حصاد الفعل التأثيريّ ذاته الذي أنتجته صناعةُ شعار الربيع في المستعار منه؛ أي في تجارب الشعوب الأخرى، فأخضعوا هذا التعبير بإرادتهم لنفسيّة الجمهور المتلقيّ.

ويسعى التمثيلُ الاستعاريّ "إلى عنصرٍ خارجيّ، أو موقفٍ ليس له صلة بالحالة المعروضة، ولكنّنا نشعر أنّ صلةً خفيّة قويّة يمكن إقامتها. لقد تكثّف التماثل هنا في استعارة"[67] حوّلت المشبّه إلى المشبّه به... ما حقّق إقامة علاقة "بين منطقتين متباعدتين من الواقع الذي يسمح بنقل خصائص إحداهما المعروفة إلى الأخرى"[68]، عن طريق خلق رابطٍ مبتدَع بين الطرفين؛ إذ "إنّ التماثل مشابهةٌ تأخذ قوّتها من غرابتها المتبادلة "[69]. في الخطوة الأولى يتمّ استدعاءُ حادثٍ معروفٍ مُنجَزٍ هو (ربيعُ الشعوب) بوصفه تجربةً ناجحة ذات رصيدٍ معرفيّ مشترك يلمّ به المتلقّي الجديد ويلقى مقبوليّة لديه، ثمّ يقاس عليه في الخطوة الثانية، أو يُستلهَم منه، حادثٌ طارئ مختلَق بوصفه تجربة يؤمل لها النجاح. فالعلاقة

---

[63]- الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدنيّ بجدّة، ط3، 1992م، 72. وينظر: 460-463.

[64]- المصدر السابق 72. وينظر: الجرجانيّ، عبد القاهر: *أسرار البلاغة*، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، الناشر مطبعة المدنيّ بالقاهرة، دار المدنيّ بجدّة،1991 م، ط 1، 333 - 334.

[65]- ينظر: القزويني، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح د. محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليّات الأزهريّة، ط2، 107/5 - 117.

- مطلوب، أحمد: *معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها*، مكتبة لبنان، ناشرون، إعادة طبع 2007م. ص 94-95.

[66]- الاستعارة التمثيليّة في البلاغة العربيّة هي " تركيبٌ استُعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصليّ. وهكذا نلاحظ أنّ الاستعارة التمثيليّة ضرب من الاستعارة التصريحيّة، ففيها تصريح بالمشبه به المذكور في مكان المشبّه، ولا فرق بين الاستعارتين (التصريحيّة والتمثيليّة) إلّا أنّ واحدة منهما تجري في المفرد، والأخرى تجري في المركّب."

ينظر: أبو العدوس، يوسف: *مدخل إلى البلاغة العربيّة (علم المعاني - علم البيان - علم البديع)*، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2007م، 199.

[67]- بروطون، فيليب: *الحجاج في التواصل*، 65.

[68]- المرجع السابق: 119.

[69]- المرجع السابق: 121.

بين المستعار (ربيع الشعوب) والمستعار له (الربيع العربيّ) تشكّل جسراً يضمّد الفجوة الخفيّة الفاصلة بين هذين الربيعين ويتيح المرور من أحدهما إلى الآخر لرصد التقارب لا التطابق، وإدراك خطوط التشابه الخفيّة والمعاني المشتركة المضمرة عن طريق الإيحاء. أمّا رصد الاختلاف، ولاسيّما اختلاف الموقف، فبعيد عن تفكير المتلقّي العربيّ، ربّما بسبب ضعف رصيده الثقافيّ والنقديّ، الأمر الذي يقوّي تأثير رابطة التشابه في ذهنه والفكرة التي يريد أن يقتنع بها.

كلّ ذلك هيّأ للربيع العربيّ أن يتمتّع بطاقة إيحاءٍ تصويريّة واسعة مستلهمة من أعماق الطرف الآخر (ربيع الشعوب). على مقاربة من المحاكاة، التي تلتقي بشكلٍ ما مع ما يسمّى المسكوكات، أو العبارات الجاهزة التي ترسخ رسوخاً تلقائيّاً ناجحاً في الاستعمال. وتدفع المتلقّي إلى الإذعان.

. *المتلقّي* :

تدرسُ البلاغةُ القديمةُ متلقّي الرسالة بوصفه الجمهور، وتتناول الانفعالات والعواطف، والرسالة التي أنشأها المرسِلُ كما هي متلقّاة[70]. ويصفُ أفلاطون الجمهور المتلقّي "بالحشدِ المروَّض الذي يقوده الخطيبُ ويتحكّمُ فيه بمجرّد الحديث"[71]، في حين يرى أرسطو أنّ "طبيعة الجمهور تتحكّم في الخطاب من ثلاثة أوجه: تحديد نوع الخطبة، واختيار أساليب الإقناع، ثمّ تكييف صورة المتكلّم" [72].

فالمتلقّي بوصفه مستقبل الرسالة، يتأثّرُ بخطابِ المرسِلِ وينجذبُ نحوَ رسالتِه ويقتنعُ بمضمونِها الظاهر. ليغدو بذلك مستهلِكاً، يستعينُ بما يوحى إليه من تفسيرٍ موجَّهٍ. على نحو ما نجدُ في متلقّي الربيع العربيّ، في ظلّ غياب وعي نقديٍّ في التلقّي؛ إذ لو توافرَ هذا الوعي لتمكّنَ المتلقّي من التفريق بين الحقيقة والتملّق، عن طريق مبادرته إلى التحليل والتأويل، وسوى ذلك ممّا يحسب من استراتيجيّات التلقّي التي ينبغي أن تتوافرَ في المتلقّي. في حين يبدو أنّ أعلى درجات التلقّي لديه ما يرجعُ إلى فطرةِ التذوّقِ اللغويّ، فاللغةُ بما تملكُه من أساليب ذات تأثير عاطفيّ فعّال، تجعلُه ينجذبُ إلى الخطابِ المشبعِ بإغواء البلاغة. ومن هنا يصحُّ أن يوصَفَ بأنّه متلقّ جمعيّ، جماهيريّ، يعدّ ضحيةً بالمعنيين الفنّي والحقيقيّ، ضحيّة العنف المضمر المتلبّس باللطف الظاهر، فقد بدت الرسالة (الربيع العربيّ) ناعمةً، تنشبُ أظفارَها في قلبِ الضحيّة المستلبةِ المشوّشة التي تتلقّى الرسالةَ كما يتلقّى الظامئ الماء القراح، باقتناعٍ ورضا وتسليم.

إنّ متلقّي الربيع العربيّ هنا مستهلِك لهذا النوع من الخطاب المبهرج المدبّج؛ إذ يظهرُ بصورة مَن لا يمتلكُ وعياً كافياً بالآليّات التي يستخدمُ بها المرسلُ رسالتَه اللغويّة، ولا يمتلكُ ثقافةَ السعي إلى ضرورةِ مقاومةِ الرسالةِ أو مقاومة بلاغة المرسل. إنّ غيابَ ما يمكنُ تسميتُه بلاغة المتلقّي ومقدرته في مواجهة بلاغة المرسِل يجعلُ من طبيعة استجاباته وردودِ أفعاله وتقبّله الرسالةَ جزءاً من تحقيقِ فحوى هذه الرسالة بوصفها خطاباً له أهدافُه المضمرة.

---

[70]- بارت، رولان: *قراءة جديدة للبلاغة القديمة*، 19.

[71]- السابق: 58.

[72]- يطاوي، محمّد: *النقد الاجتماعيّ بين البلاغة والتحليل النقدي للخطاب*، جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب، مجلّة الخطاب، مج 14، ع 2، 2019م. 58.

الاستنتاجاتُ والتوصيات:

يخلص البحثُ إلى عددٍ من الاستنتاجاتِ والتوصيات، من أهمّها :

1. إنّ القوّة الإيهاميّة لخطاب (الربيع العربي) أوهمتِ المتلقّي بتحقّقِ الانتقال من حالٍ أسوأ إلى حالٍ أفضل، فنجحتْ في أن تجنيَ رصيداً عالياً من خداعِ العقول التي لم تقف في موقعِ النقد وردّ الهجوم أو صدّه، أو التفتيش عن جذوره، وهل هو مُجتزأ؟ أو مُقْتَطَع من سياقٍ أكبر؟ أو مستعارٍ من سياقاتِه الأولى على سبيل التمثيلِ والاحتذاء؟ أو هل يتمتّعُ طرحُه على هذا النحو بمعاييرَ منطقيّةٍ علميّة عقليّة؟

ويتبيّن أنّ الشعوبَ العربيّةَ قد تلقّته على النحو الذي وُجّه إليها؛ إذ إنَّ نقلَ الأصلِ إلى سياقٍ جديد، يتلبّسُ بمقصدٍ جديد يوهمُ إيهاماً أنّه يشبهُ مقصدَ السياق الأصل، وذلك عن طريق ما يمكنُ تسميتُه استراتيجيّة التلاعب بمعطيات هذين السياقين.

2. توصّلَ البحثُ إلى أنّ عبارةَ الربيع العربي جاءتْ مشحونةً بقدرٍ وافرٍ من الإيحاءِ النفسيّ، الذي خلقَ لدى المتلقّي الجماهيريّ شعوراً يجدُ فيه ضالّتَه، أو ما يعادلُ سدّ فراغٍ نفسيّ لديه، فكان لها وقْعُ السِّحر. السِّحر الذي وُصِف بأنّه " كلمة، ينطقُها في لحظةِ أزمةٍ شخصٌ ... وتُؤوّل بعد الحادث على أنّها أثّرت في ... المخاطب...، وهو نتيجة لذلك سيصفُ نفسَه بالمسحور. ..." يشعرُ بأنّ هناك " "أشياء غير عاديّة" قد حصلت.. بعد أن تُلفظ كلمة، وهي كلمة تبقى تلحّ وتلحّ"[73]. فلم تعد اللغة في هذا السياق "أداة حياديّة؛ بل هي مجموعة من الكلمات المشحونة بقوّة الرغبات ..."[74]، تثيرُ في مخيّلةِ الجماهيرِ صوراً مقنعةً حتّى لو لم يكن لها وجودٌ في الواقع، تغوي العقلَ عن طريقِ العواطفِ، والانبهارِ بالمظهرِ الخارجيّ المزخرفِ كما قال سقراط في المحاورة عندما وصف أمثالَ هؤلاء بأنّهم كالأطفالِ والنساءِ عندما يُدهشون أو يُعجبون بالثوبِ المزخرف.

3. لقد استنتجَ البحثُ أيضاً أنّ صياغة "الربيع العربيّ" اللغويّة حقّقت قوّة تأثيريّة زادتْ على توقّعِ الجهةِ المرسِلة، وقد أتتْ هذه القوّة عبر استخدام أساليب الإقناع المنطقية شكليّاً كالتحليل والتركيب والقياس والاستنتاج استخداماً مغالطاً كما وصفها أفلاطون في محاورة جورجياس.

4. وتبيّنَ من خلالِ ما تشيرُ إليه تقنيّات التحليل البلاغيّ النصّي أنّ الدالَّ الأساس "الربيع العربيّ" يحيلُ على مدلولين: الأوّل منهما منطقيّ . ظاهريّاً. قريب مألوف، هو الازدهار والحياة الجديدة المتجدّدة، التي تزعم تغيير أحوال العربيّ الذي نُسب إليه الربيع وخُصّص به من سيّء إلى جيّد، ومن قبيحٍ إلى حسَن، ومن ضارٍّ إلى نافع، على سبيلِ استلهامِ وجه الشبَه من فصلِ الربيع بين فصول السنة، ويُعدّ هذا المدلول الأوّل . بما يُوهمُ من قياسٍ منطقيّ . فخّاً أو جسراً للعبور إلى المدلول الثاني البعيد المُضمَر، الذي يحتملُ تعدّدَ المستويات، فهو على مستوى المخاطَبين ينمّ على تعطّشهم إلى التغيير من الضارّ إلى النافع، وتعلّقهم بقشّة سِحْر البيان. وأمّا على مستوى المرسِل فالمدلولُ الأبْعدُ غَوراً جاء مغايراً لهدف المتلقّي، الأمر الذي يثبت أنّ العلاقة بين الدالّ (الربيع العربيّ) ومدلوله علاقة إيهاميّة مخادعة.

5. وهكذا ثبّتَ الخداعُ قدميه عندما حوّلَ مفهومَ الربيعِ من دالٍّ معمِّر إلى دالّ مدمِّر؛ فجاء الدالُّ البلاغيّ مخالفاً للمدلول المتحقّق؛ إذ يتصرّف الجمهور ضدّ مصلحته الحقيقيّة من دون وعي منه؛ لأنّه استوحى من الصيغة المجازيّة

---

[73]- ينظر: لوسركل، جان جاك: *عنف اللغة*، ترجمة د. محمّد بدوي، مراجعة د. سعد مصلوح، الدار العربيّة للعلوم - المركز الثقافيّ العربيّ، المنظمة العربيّة للترجمة، المعهد العالي العربيّ للترجمة - الجزائر، المنظّمة العربيّة للترجمة - بيروت، ط1، 2005م، ص 410.ثم ص 413.

[74]- المرجع السابق: 413.

إيحاءها الظاهر الذي يلامسُ انطباعاتِه وعواطفه من دون إخضاعِه لمحاكمةٍ انتقاديّةٍ عقليّةٍ سياقيّةٍ كاملةٍ. أمّا بالنسبة إلى الجهة المرسِلة فالدالُّ هو الربيعُ المعمِّرُ الذي كان لها خادماً علميّاً إعلاميّاً أميناً. وحقّقت عبارةُ الربيع العربيّ هدفَها في جعلِ الآخرين يريدون ما تريدُ من دون إرغامِهم بالتهديدات، وبأقلّ كلفةٍ وأكثر فاعليّة.[75]

7. تبيّنَ من خلالِ المناقشة أنّ الاهتمامَ بالمتلقّي حقّقَ الوظيفةَ التأثيريّةَ (أو الإفهاميّة) بحسب نظريّة ياكبسون، وتحقّقَ هدفُ الرسالة في الاستدراجِ بحسب قول ابن الأثير: " لبلوغ غرض المخاطب بها."[76]، وبذلك تكونُ دغدغةُ عواطفِ الجمهور ورغباته أشدَّ إقناعاً من الاحتكامِ إلى العقلِ بحسب جورجياس.

8. أخيراً، يوصي البحثُ بألّا يكتفي الدرسُ البلاغيّ بالتركيزِ في أحدِ أركانِ عمليّةِ الاتّصالِ (النصّ بوصفه رسالةً أو خطاباً) على حسابِ الركنين الآخَرين (المرسِل، والمرسَل إليه)؛ يُضافُ إلى ذلك رصدُ مراعاة مقتضى الحال، ومقامات المستمعين. ومختلف المعطيات المقاميّة الموجِّهة، التي تحيط بالخطاب اللغويّ البيانيّ.

ويوصي أيضاً بأن يأخذَ الدرسُ البلاغيّ بالحسبان البلاغةَ الجماهيريّة الموجَّهة إلى متلقٍّ جمعيّ، لما لهذه البلاغة من فاعليّةٍ في زمنِ تطوّرِ وسائلِ الاتّصال.

خاتمة:

وبعد، قد يكونُ في الطرحِ الذي حاولَ هذا البحثُ تقديمَه تنبيهٌ أو تحفيزٌ لاستكشاف مجالاتٍ ربّما جديدة للبلاغةِ العربيّةِ، وقد يكونُ محفِّزاً على ارتيادِ آفاقٍ جديدةٍ خارجَ مجالِ النصوصِ الأدبيّة والبلاغة القواعديّة، بالانفتاحِ على الحقولِ المعرفيّة الواسعة للبلاغة، منها حقلُ الخطاب الإعلاميّ، وحقلُ الخطابات الجماهيريّة، والثقافة الشعبيّة، والبلاغة الاجتماعيّة.

وينبّهُ من ناحيةٍ أخرى إلى أنّ القيمةَ الأدبيّة . لم تعد الغرض الأساس الأوّل للبلاغة الذي يدعو إلى الاحتفاء بها علماً ونصّاً منذ القديم عندَ العرب؛ بل من الجدير بالاهتمام تسليط الضوء على الجانب المخادع أسلوباً، النفعيّ غرضاً، لما له من قوّةٍ فاعلةٍ في التغيير .

---

[75]- ناي، جوزف: *القوّة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدوليّة*، نقله إلى العربيّة د. محمّد توفيق البجيرمي، تقديم د. عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان، مكتبة العبيكان، 2007م، 20.

ونجد في هذا الصدد تأكيداً على أن حصاد الربيع كان لمنتجه الغربيّ وليس لمتلقّيه العربيّ، وهذا ما صرّح به وزير الخارجيّة الأمريكيّة الأسبق كيسنجر حول الربيع العربيّ، يقول : " لقد اختفت أنظمة تحكم أكثر من مئة مليون عربيّ، وأصبحت خارطة الشرق الأوسط اليوم بها العديد من الثقوب في انتظار من سيملؤها ".

ويقول أيضاً - وهو الأهمّ - : " هي فرصة لأمريكا أن تعبث بالمنطقة دون وجود أيّ قوّة إقليميّة تقف أمامها".

أمّا ضابط الاستخبارات الإسرائيليّ السابق إيغال كرمون فيُسأل " عمّا استفادته دولته من ثورات الربيع العربيّ، فقال: "إنّ الربيع العربيّ قد قلّل المخاطر على الدولة اليهوديّة ". فالربيع الذي يعنيه " الذين هناك" غير الربيع الذي خُدع به " الذين هنا" .

ينظر: فالح الأصقة، سلطان: *الربيع العربيّ.. من الذي سماه ربيعاً؟*، جريدة الأنباء الكويتيّة، الأربعاء 2016/1/6.

[76]- ابن الأثير، ضياء الدين: *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، 2/ 64.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، ضياء الدين: ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر***، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1358هـ . 1939م.

Ibn al-Atheer , Zia al-Din :***The Proverb in the Literature of the Writer and Poet***, investigated by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Cairo, 1358 AH - 1939 AD.

2. ابن منظور: ***لسان العرب***، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم محمّد الشاذلي، ط3، دار المعارف.

Ibn Manzoor : ***Lisan Al-Arab***, investigated by Abdullah Ali Al-Kabeer, Muhammad Ahmad Hassab Allah, Hashem Muhammad Al-Shazly, 3rd Edition, Dar Al-Maaref.

3- أبو العدوس، يوسف: ***مدخل إلى البلاغة العربيّة (علم المعاني - علم البيان - علم البديع)***، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2007م.

Abu Al-Adous , d. Youssef : ***Introduction to Arabic rhetoric (the science of meanings - the science of the statement - the science of badi)***, Dar Al-Masira for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1, 2007.

4. أفلاطون: ***محاورة جورجياس***، ترجمه عن الفرنسيّة محمّد حسن ظاظا، مراجعة الدكتور علي سامي النشار، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، 1970م.

Plato :***The Gorgias Conversation*** , translated from the French by Muhammad Hassan Zaza, revised by Dr. Ali Sami Al-Nashar, the Egyptian General Authority for Authoring and Publishing, 1970 AD.

5. أندره، لا لاند: ***موسوعة لا لاند الفلسفية***، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1961م.

Andere, La Land: ***La Land Philosophical Encyclopedia***, Arabization of Khalil Ahmed Khalil, Oweidat Publications, Beirut, Lebanon, 1, 1961 AD.

6. أولاتشي، جيوسي: ***تضليل غربي لدعم ربيع عربيّ***، تاريخ النشر 2014/1/14م.

Ulachi , Geosi : ***Western Disinformation in Support of an Arab Spring,*** Publication Date 14/1/2014 AD.

7. بارت، رولان: ***قراءة جديدة للبلاغة القديمة***، ترجمة عمر أوكان، أفريقيا الشرق، 1994م.

Barthes, Roland: ***A new reading of the old rhetoric***, translated by Omar Okan, East Africa, 1994 AD.

8. بروطون، فيليب: ***الحجاج في التواصل***، ترجمة محمّد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، 2013م، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

Broughton, Philip: ***Al-Hajjaj in Communication***, translated by Mohamed Meshbal, Abdel Wahed Al-Tohamy Al-Alami, The National Center for Translation, 1, 2013 AD, Cairo, The Egyptian General Book Organization.

9. بليت، هنريش: ***البلاغة والأسلوبيّة نحو نموذج سيميائيّ لتحليل النصّ***، ترجمة وتقديم وتعليق د. محمّد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م.

Plett, Heinrich: ***Rhetoric and stylistics towards a semiotic model for text analysis,*** translation, presentation and commentary by Dr. Muhammad Al-Omari, East Africa, Morocco, 1999.

10. بن محمّد، نجيب: ***الربيع العربيّ حفريّة في المصطلح ودلالته السياسيّة***، 4/ مارس/2018م. موقع سياسة بوست . مجتمع الأفكار.

Bin Muhammad, Najeeb: ***The Arab Spring, an fossil in the term and its political significance***, 4/ March/2018 AD. Politics Post - Community of Ideas.

11. بن يحيى، ناعوس: ***حجاج البلاغة ويلاغة الحجاج***، مجلّة جيل للدراسات الأدبيّة والفكريّة، مجلّة علميّة دوليّة محكّمة تصدر شهريّاً عن مركز جيل البحث العلميّ، الجزائر، مج 5، ع 47، ديسمبر 2018م.

Bin Yahya, Naous*: **Hajjaj al-Balaghah and the eloquence of al-Hajjaj***, Jill Journal for Literary and Intellectual Studies, an international refereed scientific journal issued monthly by the Generation Center for Scientific Research, Algeria, Vol. 5, v. 47, December 2018.

12. تشومسكي، نعوم: ***عشر استراتيجيّات للتحكّم بالشعوب***، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجيّة، آب 2012م.

Chomsky, Noam: ***Ten Strategies to Control Peoples,*** Al-Kashef Center for Follow-up and Strategic Studies, August 2012.

الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر: ***البيان والتبيين***، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط5، 1985م.

Al_ jahiz.Abu Othman Amr bin Bahr: ***Al_ Bayan wa Al_ tabeen***, investigated by Abd Salam Muhammad Haroun, Al _Khanji Library,Cairo, 5 th edition,1985 AD.

13. الجرجانيّ، عبد القاهر: ***أسرار البلاغة***، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، الناشر مطبعة المدنيّ بالقاهرة، دار المدنيّ بجدّة، ط1، 1991م.

Al-Jarjani, Abd al-Qaher: ***Asrar al-Balagha***, read and commented on by Mahmoud Muhammad Shakir, publisher, al-Madani Press, Cairo, Dar al-Madani, Jeddah, 1, 1991 AD.

14- الجرجاني، عبد القاهر: ***دلائل الإعجاز***، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجدّة، ط3، 1992م.

Al-Jarjani, Abdul Qaher: ***Evidence of Miracles***, read and commented on by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Dar Al-Madani, Jeddah, 3rd Edition, 1992 AD

15. الجرجانيّ، عليّ بن محمّد بن عليّ: ***التعريفات***، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الريّان للتراث.

Al-Jurjani , Ali bin Muhammad bin Ali *:**Definitions***, verified and presented to him and cataloged by Ibrahim Al-Abyari, Dar Al-Rayyan Heritage.

16. حاتم الشحف، فريد: ***الدعاية والتضليل الإعلاميّ (الأساليب والطرق)***، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سورية، دمشق، ط1، 2015م.

Hatem Al-Shahf, Dr. Farid :***Propaganda and Media Disinformation (Methods and Methods)***, Alaa Al-Din House for Publishing, Distribution and Translation, Syria, Damascus, 1, 2015 AD.

17. حيدوري، لطفي: ***التضليل الإعلاميّ.. من البرافدا إلى جامع الفتح***، موقع الشاهد، الجمعة 23 جوليه 2021م.

Haidori, Lotfi: ***Media Disinformation.. From Pravda to Jameh Al-Fath***, Al-Shahed website, Friday, July 23, 2021 AD.

18. صالح، أشرف فوزي: ***الاستلهام مفهومه وضوابطه وحدوده***، مجلّة علامات، ج 67، مج 17، ذو القعدة 1429 هـ، نوفمبر 2008م.

Saleh ,Ashraf Fawzi: ***Inspiration, its concept, controls and limits***, Al-Alamat Magazine, Volume 67, Volume 17, Dhul-Qa'dah 1429 AH, November 2008 AD.

19. الصبّاغ، رنا: ***نعوم تشومسكي يشخّص استراتيجيّات التضليل العشر***، جريدة الغد الإلكترونيّة، الأردن، تاريخ النشر 2017/7/19م .http:algahad.com .

Al-Sabbagh , Rana : ***Noam Chomsky diagnoses the ten strategies of misinformation***, Al-Ghad electronic newspaper, Jordan, publication date 07/19/2017, http://algahad.com. .

20. صمّود، حمادي: ***من تجلّيات الخطاب البلاغيّ***، تونس، دار قرطاج للنشر، ط1، 1999م.

Samoud , Hammadi :***From the manifestations of the rhetorical discourse***, Tunis, Carthage Publishing House, 1, 1999 AD.

21. عبد اللطيف، عماد: ***نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة دراسة في مشروع البلاغة النقديّة***، مجلّة نزوى، فصليّة ثقافيّة، تصدر عن مؤسّسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، ع 66،أبريل 2011م

. Abdel Latif , Imad : ***Criticizing the rhetoric of authority and undermining the authority of rhetoric****, a study in the Critical Rhetoric Project*, Nizwa Magazine, cultural quarterly, issued by the Oman Foundation for Press, Publishing and Advertising, p. 66, April 2011

22. عبيد، حاتم: ***الخطابة في الربيع العربيّ . أيّ دور وأيّة رهانات***، ج2، مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المملكة المغربيّة.

Obeid, Hatem: ***Rhetoric in the Arab Spring - What Role and What Stakes***, Volume 2, Believers Without Borders Foundation for Studies and Research, Rabat, Kingdom of Morocco.

23. العجم، رفيق: ***موسوعة كشّاف اصطلاحات العلوم والفنون***، تقديم وإشراف ومراجعة، مكتبة لبنان، ناشرون،ج1998،1م.

Al-Ajam , Rafik : ***Scout Encyclopedia of Science and Arts Conventions***, Presented, Supervised and Reviewed by, Library of Lebanon, Publishers, Volume 1, 1998 AD.

24. عليّ حسن، عمّار: ***كيف وظّف الخطاب السياسيّ العربيّ الدين والبلاغة***، 2018م، عن دراسة للدكتور وليد عبد الحيّ، (عن موقع حفريّات).

Ali Hassan, Ammar: ***How did the Arab political discourse employ religion and rhetoric***, 2018 AD, on a study by Dr. Walid Abdel Hay, (from the excavations website).

25. فالح الأصقة، سلطان: ***الربيع العربي... من الذي سمّاه ربيعاً***، جريدة الأنباء الكويتيّة، الأربعاء 2016/1/16م.

Faleh Al-Asqa, Dr. Sultan: ***The Arab Spring... Who called it a Spring***, *Kuwaiti newspaper* Al-Anbaa, Wednesday 16/1/2016 AD.

26. قريرة، توفيق: ***البلاغة موكّلة بالمنطق***، أستاذ اللسانيّات في الجامعة التونسيّة. [جريدة القدس العربي، 8 أكتوبر 2018.] .

Qurira, Tawfiq: ***Rhetoric is entrusted with logic***, Professor of Linguistics at the Tunisian University. [Al-Quds Al-Arabi newspaper, October 8, 2018.]

27- القزويني، الخطيب: ***الإيضاح في علوم البلاغة***، شرح وتعليق وتنقيح د. محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، ط2.

Al-Qazwini, Al-Khatib: ***Clarification in the Sciences of Rhetoric***: Explanation, Commentary and Revision by Dr. Muha mmad Abdel MoneimKhafagy, Al-Azhar Colleges Library, 2nd Edition.

28. الكيلاني، مجدي: ***تاريخ الفلسفة اليونانيّة من منظور معاصر***، دار التنوير، ط1، 2008م.

Al-Kilani, Dr. Majdi: ***History of Greek Philosophy from a Contemporary Perspective***, Dar Al-Tanweer, 1, 2008 AD.

29. لو بون، غوستاف: ***سيكولوجية الجماهير***، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1999م.

Le Bon , Gustave :***The Psychology of the Masses***, translated by HashemSaleh, Dar Al-Saqi, Beirut, 1, 1999 AD.

30. لوسركل، جان جاك: ***عنف اللغة***، ترجمة د. محمّد بدوي، مراجعة د. سعد مصلوح، الدار العربيّة للعلوم، المركز الثقافيّ العربيّ، المنظمة العربيّة للترجمة، المعهد العالي العربيّ للترجمة، الجزائر، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط1، 2005م.

Lucerkel , Jean-Jacques: ***Language violence***, translated by Dr. Muhammad Badawi, review d. Saad Maslouh, The Arab House of Science, the Arab Cultural Center, the Arab Organization for Translation, the Arab Higher Institute for Translation, Algeria, the Arab Organization for Translation, Beirut, Edition 1, 2005.

31- مطلوب، أحمد: ***معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها***، مكتبة لبنان، ناشرون، إعادة طبع 2007 م.

Matlob, Dr. Ahmed**: *A Dictionary of Rhetorical Terms and Their Evolution,*** Library of Lebanon, publishers, reprint 2007.

32. مهدي، فضل الله: ***مدخل إلى علم المنطق التقليديّ***، دار الطليعة، بيروت، 1979م.

Mahdi , Fadlallah :***An Introduction to the Science of Traditional Logic***, Dar Al-Tali`ah, Beirut, 1979.

33. ناي، جوزف: ***القوّة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدوليّة***، نقله إلى العربية د. محمّد توفيق البجيرمي، تقديم د. عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان، مكتبة العبيكان، 2007م.

Nye, Joseph: ***Soft Power as a Means of Success in International Politics,*** translated into Arabic by Dr. Muhammad Tawfiq Al-Bajirmi, presented by Dr. Abdul Aziz Abdul Rahman Al-Thunayan, Obeikan Library, 2007 AD.

34. ياكوبسون، رومان: ***قضايا الشعريّة***، ترجمة محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988م.

Yakobson ,P Roman :**poetic *Issues***, translated by Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanoun, Toubkal Publishing House, Casablanca, 1, 1988 AD.

35. يطاوي، محمّد: ***النقد الاجتماعيّ بين البلاغة والتحليل النقديّ للخطاب***، جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب، مجلّة الخطاب، مج 14، ع 2،2019م.

Yatawi, a. Mohamed: ***Social criticism between rhetoric and critical discourse analysis***, Sultan Moulay Suleiman University, Morocco, Al-Khattab Magazine, Vol. 14, v. 2, 2019 AD.